منهجية الشيخ السعدي في التفسير الإجمالي

دراسة استقرائية تحليلية

لكتابه: (تيسير الكريم الرحمن)

(ورقة عمل)

أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، والصلاة والسلام على من أرسله ربه داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ورضي الله عن الآل والأصحاب والأتباع، ممن سار على نهجه، واتبع سنته، واهتدى بهداه إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فإنّ كتاب الله خير ما تقضى فيه الأعمار، وتستغل الأوقات في حفظه وتدبره، ومن ثمّ العمل به وتطبيقه في واقع الحياة، وما زال العلماء يخدمونه بتأليف تفاسيره، إذ بلغت أعداداً كثيرة، مع اختلاف مشاربها، وتنوع مناهجها، وتباين طرقها، غير أنها تلتقي في نهاية الأمر على خدمة كتاب الله، وبيانه للناس.

وثمّة لونٌ للتفسير يُسمّى **بالتفسير الإجمالي؛ إذ فيه تُجْمَلُ معاني الآيات وهداياتها في عرضٍ واحد، دون تفاصيل مأخذ تلك المعاني والهدايات.** ومهما كانت سماته أو تسمياته فإننا لا ننكر أنه كان موجوداً عند علمائنا السالفين بقدر حاجة الناس إليه، وهذا ما نأمل أن يُظهر شيئاً منه هذا البحث في تفسير السعدي المسمى: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، لمؤلفه العالم الرباني الفقيه الأصولي اللغوي المحدث الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي التميمي، والمتوفى سنة ١٣٧٦هـ -رحمه الله-.

وكان بدأ الشيخ بتأليفه سنة ١٣٤٢هـ وأنهاه سنة ١٣٤٤هـ. وكان عمره حين بدأ فيه خمسة وثلاثين عاماً، وقد كتب الله له القبول والانتشار فانتفع به الجم الغفير من النّاس، وترجمت منه أجزاء في مجمع الملك فهد -رحمه الله- بالمدينة لطباعة المصحف وغيره.

ولما اشتهر الإمام العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ) به من ملكة في التفسير، ولما تميز به من أسلوبٍ إجمالي في بعض مصنفاته في التفسير، ومساهمة في بناء لبنة في صرح التفسير الإجمالي، ومحاولة لدراسة مناهج العلماء وإبرازها بطريقة استقراء مناهجهم وتحديد خطواتهم في الوصول للمعلومة، وفي إيصالها للناس؛ حاولت إبراز هذا الباب والمساهمة فيه من خلال هذا البحث.

أولا: أسباب اختيار الموضوع:

١. الحاجة الماسة لاستقراء منهجية البحث في التفسير الإجمالي عند العلماء الراسخين في هذا الشأن.

٢. بروز الإمام السعدي -رحمه الله- في مدرسة التفسير فاشتهر بتفسيره وبلغ الآفاق ونفع الله به.

٣. سهولة ويسر وتنوع أسلوب الشيخ السعدي -رحمه الله- في عرض التفسير.

٤. الحاجة لتأصيل منهجية التفسير الإجمالي، التي يسير عليها الباحث للوصول للنتائج المرجوة.

ثانياً: النتائج المتوقعة:

١. المساهمة في تأصيل منهج التفسير الإجمالي وإبراز معالمه، من خلال استقراء (تيسير الكريم الرحمن).

٢. بيان منهج السعدي في عرض المعاني بصورة إجمالية مع إبراز الهدايات وترتيبها وفق حاجة المجتمع.

٣. المساهمة في إبراز جهود الشيخ السعدي، ودراسة منهجه العلمي في التفسير.

٤. معالجة ما قد يصاحب انتشار التفسير الإجمالي من آفات، لا يخلو منها علم من العلوم.

ثالثاً: خطة البحث[1]

المقدمة: وتشمل: أسباب اختيار الموضوع، والنتائج المتوقعة، وخطة البحث،

(١) جاءت الخطة مختصرةً لمناسبة الورقة في المؤتمر مع بقية أوراقه، فتركت الترجمة للمؤلف والتعريف بالكتاب، واختصرت المطالب على ما يخص التفسير الإجمالي عند الشيخ السعدي -رحمه الله-؛ بناء على طلب اللجنة العلمية للمؤتمر.

ومنهج البحث.

تمهيد: تعريف التفسير الإجمالي ونشأته.

مطالب البحث:

المطلب الأول: منهجه إجمالاً في كتابه (تيسير الكريم الرحمن)

المطلب الثاني: أسباب تصنيف تيسير الرحمن في نوع التفسير الإجمالي.

المطلب الثالث: مصطلح التفسير الإجمالي عند الشيخ وفي عصره.

المطلب الرابع: طريقة الشيخ -رحمه الله- في عرض المعاني والهدايات وصياغتها في الكتاب.

المطلب الخامس: من تأثر بهم الشيخ من علماء الإسلام في أسلوب التفسير الإجمالي.

المطلب السادس: أثر المنهجية العلمية الإجمالية في كتابات الشيخ الأخرى.

الخاتمة: وتشتمل على:

١- النتائج، وتتضمن ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أهمية التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ ورؤيته.

المسألة الثانية: ضوابط التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ.

المسألة الثالثة: أساليب التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ وغيره.

٢- التوصيات.

فهرس المصادر.

فهرس الموضوعات.

رابعا: منهج البحث:

يعتمـد البَحث على المنهج الوصفيِّ والتحليليِّ معـاً. وتقوم كتابة البحث على الإجراءات الآتية:

١) الاعتمادُ في النقل والتحليل على كلام السـعدي في تيسـير الكريم الرحمن، مع الاهتمام بالإشارة إلى مواضعها في الحاشية.

٢) كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها بذكر سورها وأرقامها.

٣) تخريج الأحاديث النبوية والآثار تخريجـاً مختصراً، فإن كان في الصحيحين أو أحدِهِما اكتفي بذلك.

٤) توثيق النقول والأقوال إلى مصادرها.

٥) تفسير الكلمات الغريبة والمصطلحات العلمية.

٦) الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٧) التعليق بقدر الحاجة، اختصاراً للبحث.

٨) أكتفي بتمييز العلم بذكر ما توفر من ولادته ووفاته، دون الترجمة له اختصاراً.

هـذا وأسـأل الله تعالى توفيقه وهدايته، والسـداد للصواب، إنه خيرُ مسـؤول، وأكرم مأمول، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد: تعريف التفسير الإجمالي ونشأته

أولاً: تعريف الإجمالي لغةً:

«الإجمالي نسبة إلى أجمل، وهذه الصيغة (أفعل) بمعنى دخل في الإجمال، فالهمزة في (أجمل) همزة الجعل؛ أي: جعلته مجملاً، والإجمال: الإيجاز، والإيجاز مظنة الإبهام؛ لذا أخذ الأصوليون هذا في مصطلح (المجمل والمبين)، قال الزركشي: «الْمُجْمَلُ لُغَةً: الْمُبْهَمُ، مِنْ أَجْمَلَ الأَمْرَ أَيْ أَبْهَمَ»[1].

وليس هذا هو المراد في مصطلح **(التفسير الإجمالي)**، وإنما هو مما قال ابن دريد (٣٢١هـ): «وأجملتُ الشيء إجمالاً إذا جمعته عن تفرّقه، وأكثر ما يُستعمل ذلك في الكلام الموجز، يقال: أجمل فلان الجوابَ»[2].

ثانياً: تعريف الإجمالي اصطلاحاً:

بيان آيات القرآن بالتعرض لمعانيها إجمالاً، حسب ترتيب المصحف، مع مراعاة غريب الألفاظ، والربط بين المعاني في الآيات بعبارات يصوغها تُسَهِّل فهمها وتُوَضِّح مقاصدها[3].

وهذا النوع أشبه ما يكون بالترجمة المعنوية للقرآن الكريم، وهو الذي يستخدمه من يتحدث بالإذاعة والقنوات لصلاحيته لعامة الناس ومن أمثلته: تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي»[4].

فالتفسير الإجمالي يهتم ببيان المعنى العام باختصار، فهو أقرب ما يكون

(١) البحر المحيط ٤/ ٣٤٤.

(٢) جمهرة اللغة ١/ ٢٤٥.

(٣) اجتهدت في صياغته إذ لم أجد من عرفه اصطلاحًا، وإنما وصفوه وميزوه عن الأنواع الأخرى.

(٤) ينظر: بحث د. محمد بن عبدالعزيز الخضيري عن التفسير الموضوعي، مجلة البيان ع ٦٤ ص٧.

لتلخيص وعرض نتائج التفسير التحليلي.

يقول د. أحمد السيد الكومي (١٣٣٠-١٤١١هـ) -رحمه الله-: «إذ ينطق بعبارته التي صاغها من ألفاظه يأتي- بين الفينة والفينة- بلفظ من ألفاظ القرآن، حتى يشعر السامع أنه لم يكن بعيداً في تعبيره عن سياق القرآن، ولا مجانبا لمجموع ألفاظه، وحتى يحقق التفسير من جانب، آخر، ويكون رابطاً نفسه بنظم القرآن من جانب آخر، ويكون في الموضع الذى يجانب فيه لفظ القرآن آتياً بلفظ أوضح عند السامعين، وأيسر في الفهم عند المخاطبين»[١].

ويقول أ.د. فهد الرومي: «التفسير الإجمالي: هو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني سورةً سورةً، إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالا، مبرزا مقاصدها موضحا معانيا مظهرا مراميها، ويجعل بعض ألفاظ الآيات رابطا بين النص وبين تفسيره، فيورد بين الفينة والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبعد في تفسيره عن سياق النص القرآني ولم يجانب ألفاظه وعباراته ومشعرًا بما انتهى إليه في تفسيره من النص»[٢].

ثالثا: وصف الإجمالي:

ومعنى هذا المصطلح أن المفسر يفسر الآية جملة واحدة، ولا يفكك ألفاظها ويفسرها لفظة لفظة كما يُفعل في التحليلي.

والحال في التفسير الإجمالي أن الجديد فيه: عرضه بأسلوب التعبير عن التفسير، من حيث سهولة عبارته وسلاستها من عدم ذلك.

---

(١) التفسير الموضوعي، للدكتور أحمد الكومي: ص٦، مذكرة مقررة على طلاب كلية أصول الدين.

(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للرومي ٣/ ٨٦٢.

وأنَّ هذا النوع في الغالب يكون موجهاً للقاعدة العريضة من الناس، فيخاطبون به الجانب الأعظم من المسلمين؛ وبالتالي فلا يدخل المفسر في التفاصيل الدقيقة للمسائل، والمباحث المتخصصة، ولا يتعرضون لمعالجة الجزئيات في الكلمات والحروف أو الجمل والتراكيب، أو متعلقات ذلك وتفاصيلها بصورة متخصصة.

ومع ذلك فالمفسر- في سبيل ما تهدف إليه الجمل من معان، وما ترمى إليه من مقاصد- لا بدّ له من الاستعانة بما يحتاج إليه من آية أخرى، أو حديث نبوي، أو أثر صحيح عن السلف، أو بيت من أشعار العرب، أو حكمة مأثورة عن الحكماء والبلغاء، ولا يصرح بذلك، بل يسبكه في صياغة المعنى؛ فيدركه العارف بعلم التفسير ولا ينشغل به غيره.

ويجب الحذر والتوقي عند اعتماد كتابٍ في التفسير الإجمالي من جهة الاعتقاد، لأن المفسر لايُبيِّن العلوم والأدوات التي استخرج منها معانيه، فالمفسر قد يسلك بالتفسير الإجمالي منهج أهل السنة والجماعة، أو منهج الشيعة، أو الاتجاه العلمي بمناهجه، أو العقلي، أو حتى الإلحادي!![1].

رابعاً: العلاقة والترابط بين التفسير التحليلي والإجمالي:

التفسير التحليلي: مأخوذ من الحل بمعنى: الفتح، ونقض المنعقد.

قال ابن منظور: «وحلّ العقدة يحلها حلا، فتحها ونقضها، فانحلت»[2].

وهو في الاصطلاح قريب من هذا المعنى اللغوي، حيث يراد به: **بيان الآيات القرآنية بيانا مستفيضا من جميع نواحيها**[3].

---

(١) ينظر: اتجاهات التفسير الرومي ٣/ ٨٦٣.

(٢) لسان العرب، مادة: (حل).

(٣) الموسوعة القرآنية المتخصصة ص٢٧٨-٢٨٠ باختصار، وفي ذلك أقوال أخرى ليس هنا موطن تحريرها.

فالتفسير التحليلي: هو أن يتولى المفسر بيان معنى الألفاظ في الآية، وبلاغة التركيب والنظم، وأسباب النزول، واختلاف المفسرين في الآية، ويذكر حكم الآية وأحكامها، وقد يزيد بتفصيل أقوال العلماء في مسألة فقهية أو أصولية أو نحوية أو بلاغية، ويهتم بذكر الروابط بين الآيات والمناسبات بين السور ونحو ذلك.

بحيث يسير المفسر في هذا البيان مع آيات السورة آية آية، شارحا مفرداتها، وموجها إعرابها، وموضحا معانى جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام، ومبينا أوجه المناسبات بين الآيات والسور، مستعينا في ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة، وبأسباب النزول، وبالأحاديث النبوية، وبما صح عن الصحابة والتابعين، وبغير ذلك من العلوم التي تعينه على فهم النص القرآني وتوضيحه للقراء، مازجاً ذلك بما يستنبطه عقله، وتمليه عليه نزعته العلمية.

وهذا التفسير هو أسبق أنواع التفسير، وإذا أطلق التفسير فلا ينصرف الذهن إلا له، وعليه تعتمد بقيتها، ويتفاوت فيه المفسرون إطنابـاً وإيجازاً، ويتباينون فيه من حيث المنهج.

وهذا هو الأسلوب الذي سارت عليه التفاسير إلى وقتنا الحاضر، ولا زالت العلماء تصدر تفسيراتها على هذا الأسلوب غالبـاً.

خامساً: مسميات الإجمالي الأخرى:

قال الشيخ أ.د. مساعد الطيار: «ويجوز أن يكون المصطلح (التفسير الجملي) نسبة إلى الجملة لا الإجمال، فقد جاء في مادة (جمل) من تاج العروس: «وجمل يجمل جملاً: إذا جمع»، وجاء فيه أيضًا: «والجُملَةُ بالضمّ: جَماعَةُ الشيء كأنها اشتُقَّت مِن جُمْلَة الحَبل؛ لأنها قُوًى كثيرةٌ جُمِعَتْ فأَجْمَلَتْ جُمْلةً. وقال الراغب: واعتُبِر معنى الكَثْرةِ فقِيل لكُلِّ جَماعةٍ غيرُ منفصِلة: جُملَةٌ. قلت: ومنه أَخذ النَّحويّون

الجُملَة لِمُرَّكبٍ من كلمتين أُسْنِدت إحداهما للأُخرى. وفي التنزيل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾[الفرقان: ٣٢]؛ أي: مُجْتَمِعًا لا كما أُنْزِل نُجُومًا مُفْتَرِقة .. »[(١)].

وهذا التعبير: (التفسير الجملي) قد استخدمه بعض المعاصرين؛ مثل: المراغي في تفسيره، لكن اشتهر مصطلح (التفسير الإجمالي)، واستحوذ على مصطلح (التفسير الجملي)»[(٢)].

سادساً: أهم كتب التفسير الإجمالي:

هذا النوع من التفسير ظهر في العصر الحديث، ومعظم كتبه معاصرة، ومنها التفاسير التالية:

١) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ) وتجده تحت عنوان «المعنى الجملي».

٢) المصحف المفسر، للأستاذ محمد فريد وجدى (١٢٩٥-١٣٧٣هـ).

٣) تيسير الكريم الرحمن، تفسير الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ)[(٣)].

٤) التفسير الوسيط، إصدار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الطبعة الأولى، (١٣٩٣هـ).

---

(١) تاج العروس للزبيدي ٢٨/ ٢٣٨.

(٢) مشكلة المصطلحات في الدراسات القرآنية .. التفسير الموضوعي وإخوانه أنموذجًا، أ.د. مساعد الطيار **04Jun 2006**، ملتقى أهل التفسير.

(٣) ينظر: بحث د. محمد بن عبدالعزيز الخضيري عن التفسير الموضوعي، مجلة البيان ع ٦٤ ص٧، والطيار في مقالة مشكلة المصطلحات، وفي فصول في أصول التفسير ص٣٣.

٥) التفسير الواضح، للدكتور محمد محمود حجازي (١٣٣٢-١٣٩١هـ).

٦) التفسير الحديث، لمحمد عزة دروزة (١٣٠٥-١٤٠٤هـ)[١].

٧) التيسير في أحاديث التفسير، لمؤلفه: محمد المكي الناصري (١٣٢٤-١٤١٤هـ).

٨) التفسير الميسر (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف)، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.

٩) تفسير أيسر التفاسير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبوبكر الجزائري (١٣٤٠-١٤٣٩هـ) وتجده تحت عنوان «المعنى الإجمالي»[٢].

---

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، ونصوا على الكتب رقم (٢، ٤، ٥، ٦) ص٢٧٨-٢٨٠ باختصار.

(٢) فصول في أصول التفسير ص٣٣. وقد نص على الكتب رقم (١، ٣، ٧، ٩).

المطلب الأول

منهجه إجمالاً في كتابه (تيسير الكريم الرحمن)

كان أسلوب الشيخ -رحمه الله- في كتاب (تيسير الكريم الرحمن) يتميز بالآتي[1]:

١. يستخلص دلالة لفظ الآية من كلماتها وسياقها وما يكتنفها من سبب نزول أو مكانه أو مناسبة معيَّنة.

٢. يختار ما يرجحه من الأقوال، ويدلل عليه بعبارة موجزة عامّة غالباً، وقد ينص على ذلك التصحيح أو الترجيح؛ لاسيما إذا كان يرى ذلك الخطأ أو البُعد وقع عند المفسرين كثيراً.

٣. يربط المعنى بالقواعد والأصول الشرعية العامة، وقواعد التفسير خاصة. بل إنّ كتابه نموذج لتطبيق لقواعد التفسير وعلوم القرآن المبثوثة.

٤. يُرجع الكلمات إلى استعمالاتها الشرعية واللغوية مراعياً السياق بشكل دقيق.

٥. غالب ألفاظه التي يختارها وينتقيها بعناية؛ هي من الأحاديث وأقوال السلف في فهم كتاب الله، ونادراً ما يصرح بالحديث أو القول.

٦. يحاول تفسير القرآن بالقرآن، ولذا يكثر من الربط المباشر وغير المباشر بين آيات الموضوع الواحد، أو الأسلوب الواحد أحياناً، أو القاعدة التفسيرية الواحدة كذلك.

٧. يحرص على بيان المجمل وتقييد المطلق في موضعه بعبارة سهلة وموجزة مُعرضاً عن الخلاف وأدلته، وأقوال العلماء فيه إلا ما ندر، ويكتفي بالخلاصة

(١) اجتهدت في تتبع ذلك ووصفه واختصار ذلك ليتناسب مع البحث المراد، وللمزيد انظر: الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي مُفَسِراً.

المجملة في المسألة.

٨. يربط الآيات ببعضها، ويوضحها من خلال بعضها الآخر، خصوصاً عندما ترد آيات مجملة؛ ولها تفصيل في موطن آخر من القرآن، كما في قصص الأنبياء وغيرها.

٩. يوضح المبهم بما يبين مراد الله منه، مكتفياً بالصحيح، معرضاً عن الضعيف والاحتمالات، مركزاً جهده في صرف القارئ إلى المراد من النص، دون انشغال بالغرائب والنوادر من الأقوال والحكايات.

١٠. يعتمد المأثور من الأحاديث الصحيحة والحسنة غالباً، ويتقيد بفهم الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة المهديين الأعلام في هذه الأمة، دون أن يؤثر ذلك بتطويل النقل أو ضعف الصياغة والربط، بل لا يكاد يشعر بذلك غير المتخصص، أو القارئ الملهم.

١١. عنده عناية بالربط والمناسبات بين المقاطع وكذا السور، ويجتهد في بيان الحِكم والغايات الشرعية، ممَّا أضفى على تفسيره نوعاً من الإقناع والإمتاع.

١٢. أسلوبه في الكتاب يجمع بين السهولة واللطافة، وبين القوة والرصانة.

١٣. له في الكتاب استنباطات دقيقة، تنمُّ عن علم غزيز وفهم دقيق.

ويُمثل هذا اللون من ألوان التفسير ما يُسمى بالتفسير الإجمالي، كما سيأتي.

وبهذا ينقسم التأليف في التفسير عند الشيخ السعدي -رحمه الله- إلى ثلاثة أنواع، وهي: الإجمالي والموضوعي والنكت والفوائد القرآنية[1].

---

(١) للمزيد يمكن مراجعة بحث: منهجية الشيخ ابن سعدي في التفسير الموضوعي- مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - واقع وآفاق جامعة الشارقة ١١-١٢ جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافق ٢٥-٢٦/ ٤/ ٢٠١٠ وهذا المطلب من ذلك البحث.

المطلب الثاني

أسباب تصنيف تيسير الرحمن في نوع التفسير الإجمالي.

الناظر لتفسير الشيخ السعدي: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) يجد أنه ليس من التفسير التحليلي كما وصفناه، وليس من التفسير الموضوعي ولا المقارن، فهو أقرب ما يكون للتفسير الإجمالي، وهذا ما خلصت إليه بعد النظر والتأمل والمدارسة لأكثر من مرةٍ ولله الحمد.

والأدلة والشواهد لذلك كثيرةٌ نختار منها ما يلي:

١- أنه اعتمد على كتب التفسير الموثوقة اعتماداً كلياً، **وصاغها بأسلوب مناسب لأهل عصره.**

٢- **سهولة اللفظ وبيانه في تفسير الشيخ**، وذلك لا يتأتى إلا لمن جمع العلم ووعاه، فصياغة العلم في اللفظ الرائق الوجيز صعبة إلا على من ارتقى في مدارج العلم.

٣- **تلخيصه لمعاني الآيات أثناء تفسيرها، وقد يلخصها بعد تفسيرها إذا طال السياق.**

٤- **عنايته بالتدبر للقرآن وهو التأمل في دلالة الآيات جملةً بقصد الاتعاظ والانتفاع.**

٥- **تركيزه على المعاني والهدايات وإبرازها؛ وهي نتائج التفسير التحليلي.**

٦- **وصفه لتفسيره بما يدل على ذلك، وشهادة العلماء والباحثين له بذلك:**

ومن ذلك ما يلي:

أ- كتب الشيخ في غلاف مقدمة تفسيره «تنبيه: اعلم أن **طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها، ولا أكتفي بذكر ما تعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة**؛ لأن الله وصف هذا الكتاب أنه (مثاني) تثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام، وجميع المواضيع النافعة لحكم

عظيمة، وأمر بتدبره جميعه، لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها»[1].

ب-وقال الشيخ -رحمه الله- عن هدفه بالكتاب: "ولما منَّ الباري علي وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بنا أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما من به الله علينا، **ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين، ولأقيده خوف الضياع**، ولم يكن قصدي في ذلك إلا أن يكون **المعنى هو المقصود**، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود، للمعنى الذي ذكرت، ولأن المفسرين قد كفوا من بعدهم، فجزاهم الله عن المسلمين خيرا»[2].

ت-**عنايته بالتدبر للقرآن**، قال -رحمه الله-: «وتضمن ما شرحه الله وفصله من دعائهم بعد قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[غافر: ٧]، التنبيه اللطيف على **كيفية تدبر كتابه: وأن لا يكون المتدبر مقتصرًا على مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ، فإذا فهمه فهمًا صحيحًا على وجهه، نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه**، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص، الدال عليه اللفظ.

والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده أمران:

أحدهما: معرفته وجزمه بأنه من توابع المعنى والمتوقف عليه.

والثاني: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتدبر والتفكر في كتابه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٢٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٣٠.

وقد علم تعالى ما يلزم من تلك المعاني. وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء، وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحًا، فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير، بحسب ما وفقه الله له **وقد كان في تفسيرنا هذا، كثير من هذا مَنَّ به الله علينا.**

وقد يخفى في بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة، ونسأله تعالى أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سببًا لصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين، فليس لنا إلا التعلق بكرمه، والتوسل بإحسانه، الذي لا نزال نتقلب فيه في كل الآنات، وفي جميع اللحظات، ونسأله من فضله، أن يقينا شر أنفسنا المانع والمعوق لوصول رحمته، إنه الكريم الوهاب، الذي تفضل بالأسباب ومسبباتها»[1].

ث-**تلخيصه للآيات بعد تفسيرها**، فقال -رحمه الله-: «وهذه الوصايا، التي وصى بها لقمان لابنه، تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها، إن كانت أمرا، وإلى تركها إن كانت نهيا. وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة، أنها العلم بالأحكام، وحِكَمِها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين، وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكره وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما، ما لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك. وأمره بمراقبة الله، وخوَّفه القدوم عليه، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر، إلا أتى بها. ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر، والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك. وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٧٣٢ .

اللذيـن يسـهل بهما كل أمر، كما قـال تعالى فحقيق بمن أوصـى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصـاً بالحكمة، مشـهوراً بها. ولهذا من منة الله عليه وعلى سائر عباده، أن قص عليهم من حكمته، ما يكون لهم به أسوة حسنة»[1].

ج- «وله مكانة مرموقة في علم التفسـير إذ قرأ عدة تفاسـير وبرع فيه وألف تفسـيراً جليلاً، في ثمان مجلدات، فسره بالبديهية من غير أن يكون عنده وقت لتصنيف كتـاب تفسـير ولا غيـره. يقـرئ تلاميذه في القـرآن الكريـم ويفسـره ارتجالاً، ويسـتطرد، ويبين مـن معاني القـرآن، وفوائـده، ويسـتنبط منه الفوائـد البديعة والمعاني الجليلة، حتى أن سـامعه يودّ أن لا يسـكت، لفصاحته، وجزالة لفظه، وتوسعه في سياق الأدلة، والقصص»[2].

ح- ويقـول عنـه تلميذه الشـيخ ابـن عثيميـن -رحمـه الله-:» فإن تفسـير شـيخنا عبدالرحمـن بن ناصر السـعدي -رحمه الله- تعالى المسـمى (تيسـير الكريم الرحمن في تفسـير كلام المنان) من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة:

منها: سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه.

ومنهـا: تجنـب الحشـو والتطويل الذي لا فائـدة منه إلا إضاعـة وقت القارئ وتبلبل فكره.

ومنها: تجنب ذكر الخلاف إلا أن يكون الخلاف قويا تدعو الحاجة إلى ذكره، وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارئ حتى يثبت فهمه على شيء واحد.

ومنهـا: السـير علـى منهج السـلف في آيات الصفـات فلا تحريـف ولا تأويل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٦٤٨.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي، المحقق: عبيد بن علي العبيد، مجلة الجامعة الاسلامية ع١١٢ ص١٥٣-١٥٤.

يخالف مراد الله بكلامه فهو عمدة في تقرير العقيدة.

ومنها: دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم، وهذا يظهر جليا في بعض الآيات؛ كآية الوضوء في سورة المائدة: حيث استنبط منها خمسين حكما، وكما في قصة داود وسليمان في سورة (ص).

ومنها: أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩][1].

خ- وقال تلميذه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل: "جاء هذا التفسير سهل العبارة، واضح الإشارة، وصاغه على نمط بديع بعبارات قريبة لا خفاء فيها ولا غموض، فهو يعتني بإيضاح المعنى المقصود من الآية بكلام مختصر مفيد، مستوعب لجميع ما تضمنته الآية من معنى أو حكم سواء من منطوقها أو مفهومها، دون إطالة أو استطراد أو ذكر قصص أو إسرائيليات، أو حكاية أقوال تخرج عن المقصود، أو ذكر أنواع الإعراب إلا في النادر الذي يتوقف عليه المعنى، بل يركز على المعنى المقصود من الآية بعبارة واضحة يفهمها كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي فهو في الحقيقة سهل ممتنع يفهم معناه من مجرد تلاوة لفظه، وقد اهتم بترسيخ العقيدة السلفية، والتوجه إلى الله، واستنباط الأحكام الشرعية، والقواعد الأصولية، والفوائد الفقهية إلى غير ذلك من الفوائد الأخرى التي لا توجد في غير تفسيره مع اهتمامه بتفسير آيات الصفات بمقتضى عقيدة السلف خلافا لما يؤولها بعض المفسرين"[2].

---

(١) تقريظ الكتاب ص١١.

(٢) تقريظ الكتاب ص٩.

د- تركيزه على المعاني والهدايات وإبرازها :(وهي نتائج التفسير التحليلي) فيقول الشيخ د. عبدالرحمن اللويحق - محقق الكتاب-: «جاء شيخ مشايخنا العلامة عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن سعدي -رحمه الله- فجعل جل عنايته بالمعاني التي هي المراد الأعظم، فكان كتابه فتحا في هذا العلم؛ إذ أوقف القارئ على المراد، وأعانه على تدبر التنزيل، دون أن يقف به على المشغلات الصارفات عن ذلك كالبحوث اللغوية الصرفة، والإسرائيليات ونحوها، وليس ذلك عن قصور إذ لا يبلغ هذا المبلغ من القدرة على تسهيل المعاني، وبيان المراد؛ إلا من ملك من علوم الآلة، وسعة الاطلاع على كتب التفسير ما يؤهله للقيام بهذه المهمة العظيمة»[1].

وبعد إلحاقه في التفسير الإجمالي ننبه على قضيتين مهمتين: التكرار والتفصيل أحيانا.

وأما التكرار فلا يخرج التفسير الإجمالي عن الصنعة:

كما قال الشيخ -رحمه الله-: «﴿مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] أي: تثنى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعا، ولم تحصل النتيجة منه، ولهذا سلكت

(١) مقدمة محقق الكتاب ص١٣.

في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراع لما مضى مما يشبهه، وإن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير»[1].

وخالف الشيخ منهجية التفسير الإجمالي نادراً فيفصل ويذكر الجزئيات بقصدٍ أراده:

مثاله في مُشكل التفسير قال: «**وهذا الموضع من أشكل المواضع عليَّ في التفسير**، فإن ما ذكره كثير من المفسرين من أن المراد بالذرية الآباء، مما لا يُعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء، بل فيها من الإيهام، وإخراج الكلام عن موضوعه، ما يأباه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده.

وثَمَّ احتمال أحسن من هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم، لأنهم هم من ذرية بني آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس: ٤٢] إن أريد: وخلقنا من مثل ذلك الفلك، أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريرا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. فإن أريد بقوله: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ الإبل، التي هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضا، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَاهم فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُون، وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ، فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى، إلا أن يقال: الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٧٢٢.

فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك أن من عرف جلالة كتاب الله وبيانه التام من كل وجه، للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن. فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها والنارية، والجوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، والمراكب البرية مما كانت الآية العظمى فيه لم توجد إلا في الذرية، نبَّه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]، أي: المملوء ركبانا وأمتعة. فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها، من الغرق»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٦٩٦.

المطلب الثالث

مصطلح التفسير الإجمالي عند الشيخ وفي عصره

أولاً: الذي يظهر -والله أعلم- أن مصطلح التفسير الإجمالي لم يكن مشتهراً زمن المؤلف -رحمه الله- لأمرين:

١- تَعَذُر أن يكون ظهر المصطلح ولم يعرفه الشيخ، لاسيما إذا قارنّا ذلك بصلته -رحمه الله- ببلاد مصر من خلال المشايخ: محمد رشيد رضا والذي كان يوافيه بالجديد من تفسير المنار[١]، والشيخ حامد الفقي والذي كان يواصله أيضاً ويخدمه بطباعة الكتب والرسائل، وبينهما مراسلات[٢].

وصلته ببلاد الشام أيضاً، سواءٌ من خلال رحلته للعلاج، أو من خلال القوافل التي كانت تتاجر من القصيم - وعنيزة بالذات - في أرض الشام ومصر ذلك الزمن، بل والهند أيضاً.

ومتابعة الشيخ -رحمه الله- للجديد في ذلك العصر، حتى رأيناه يكتب رسالة عن المخترعات الحديثة، وموقف المسلم منها.

٢- لم يذكره -رحمه الله- في شيء من مؤلفاته، ولم يرد في مؤلفات من عاصروه مثل الشيخ: محمد رشيد رضا -رحمه الله-، مع أنه هو ما عناه في ذكره لطريقته في تأليف: (تيسير الكريم الرحمن).

ثانياً: أن الشيخ سلك المنهج الإجمالي في تأليفه، في تيسر الكريم الرحمن في التفسير، وفي غيره من شروحه للتوحيد والحديث والفقه، كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

---

(١) كما أشارت لذلك مصادر ترجمته، وتشهد المكتبة الوطنية بعنيزة بنسخ تلك الأعداد.

(٢) وقد طبعت أكثر كتب الشيخ بمطابع جماعة أنصار السنة المحمدية، وبإشراف الشخ حامد الفقي رحمهم الله.

ثالثًا: أن منهجية التفسير الإجمالي ومغزاه واضحٌ في رؤية الشيخ ومتصورٌ في ذهنه من خلال ما سبق ذكره في أسباب تصنيفه في التفسير الإجمالي، ومن خلال أربعة أبواب مهمةٍ وهي:

١ - تدبر القرآن طريقٌ لفهمه ومعرفة مقاصده:

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: «إن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب»[(١)].

وقال -رحمه الله- «قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فأنزله بهذا اللسان لنعقله ونتفهمه، وأمرنا بتدبره، والتفكر فيه، والاستنباط لعلومه، وما ذاك إلا لأن تدبره مفتاح كل خير، محصل للعلوم والأسرار. فلله الحمد والشكر والثناء، الذي جعل كتابه هدى وشفاء ورحمة ونورا، وتبصرة وتذكرة، وبركة، وهدى وبشرى للمسلمين.

فإذا علم هذا، علم افتقار كل مكلف لمعرفة معانيه والاهتداء بها. وكان حقيقا بالعبد أن يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في تعلمه وتفهمه بأقرب الطرق الموصلة إلى ذلك»[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص: ١٩٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٢٩-٣٠.

٢- أثر السياق على فهم المعنى:

قال الشيخ السعدي -رحمه الله- «وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصر، يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية! بقطع النظر عن المراد.

وكان الذي ينبغي في ذلك: **أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه. فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله**، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر؛ ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصا إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها.

فمن وفق لذلك، لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه، وما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً، فإذا بذل وسعه في ذلك، فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أمورا لا تدخل تحت كسبه»[1].

٣- فهم البعض يدل على الباقي:

ذكر الشيخ في مقدمة طباعته للجزء الخامس (الكهف-النمل) وهو أول ما طُبع منه في زمنه -رحمه الله- فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، وأصلي وأسلم على محمد وآله وصحبه، أما بعد فلما كان علم التفسير للقرآن أشرف العلوم على الإطلاق وأهمها وأحقها بتحقيق معانيه وفهم مبانيه، لكونه تنزيلا من حكيم حميد أنزله هدى ورحمة للعباد وتبيانا لكل شيء وتفصيلا

(١) الموضع السابق.

لكل ما يحتاجونه في دينهم ودنياهم وأخراهم، وكان من **خاصة علم القرآن أن فهم بعضه وطائفة منه يعين على فهم جميعه، لأن القرآن من أوله إلى آخره يدور على تقرير الأصول النافعة والحقائق والشرائع الكبار والأحكام الحسنة والعقائد الصحيحة، ويوجه العباد إلى كل خير ويحذرهم من كل شر، ويعيد تقرير هذه الأمور ويبديها بأساليب متنوعة وتصاريف مناسبة في غاية اليسر والسهولة والإحكام والحسن الذي لا مزيد عليه.** وقد تكرر عليّ السؤال من كثير من الأصحاب في نشر تفسيرنا هذا جميعه وألحوا لما يرونه من الفائدة الكبيرة..»[1].

وبمثلها علل في تيسير اللطيف المنان: «فالوقوف على تفسير بعض القرآن يعين أعظم عون على معرفة باقية، والله جعله مثاني تثنى فيه العلوم النافعة، والمعاني الجليلة الكاملة، وهذا من تيسيره تعالى لكتابه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر ١٧]»[2].

وذكر في مقدمة فتح الرحيم ما نصه: «فإنَّ الإحاطة على جميع الآيات القرآنية ليس من شروط علم التفسير، لأنَّ من خواص تيسير الله لمعاني كتابه أنَّه جعله أصولاً وقواعد وأسسًا، إذا عرف العبد منها موضعًا عرف نظيره ومشابهه ومقاربه في كلِّ المواضع، فمعرفة بعضه يدعو إلى معرفة باقيه. ثم نظرت فإذا علوم التفسير كثيرة جدًا، وفي استيعابها يطول الكتاب جدًا..»[3].

٤- التفسير بحسب المناسبة والحال:

قال -رحمه الله-: «﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٤٦٨.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص ٣-٨.

(٣) فتح الرحيم العلام ص١٩.

﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان٣٢-٣٣]، هذا من جملة مقترحات الكفار الذي توحيه إليهم أنفسهم فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ أي: كما أنزلت الكتب قبله، وأي محذور من نزوله على هذا الوجه؟ بل نزوله على هذا الوجه أكمل وأحسن، ولهذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أنزلناه متفرقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينة وثباتا وخصوصا عند ورود أسباب القلق فإن نزول القرآن عند حدوث السبب يكون له موقع عظيم وتثبيت كثير أبلغ مما لو كان نازلا قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه.

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: مهلناه ودرجناك فيه تدريجا. وهذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن وبرسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- حيث **جعل إنزال كتابه جاريا على أحوال الرسول ومصالحه الدينية.** ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

ولهذا قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ يعارضون به الحق ويدفعون به رسالتك، ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أي: أنزلنا عليك قرآنا جامعا للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظا وأحسن تفسيرا مبين للمعاني بيانا كاملا.

وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم من محدثٍ ومعلمٍ وواعظٍ أن يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم يدبر أمر الخلق **فكلما حدث موجب أو حصل موسم، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمواعظ الموافقة لذلك.**

وفيه رد على المتكلفين من الجهمية ونحوهم ممن يرى أن كثيرا من نصوص

القـرآن محمولة على غير ظاهرها ولها معـان غير ما يفهم منها، فإذا -على قولهم- لا يكون القرآن أحسـن تفسـيرا من غيره، وإنما التفسـير الأحسـن -على زعمهم- تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفـاً!!»[1].

المطلب الرابع: طريقة الشيخ السعدي في عرض المعاني والهدايات وصياغتها في الكتاب

تفسـير السعدي (تيسـير الكريم الرحمن) من التفسير الإجمالي: وهو أن يعمد المفسـر إلى بيـان المعنى العام للآيـة دون التعرض للتفاصيـل ؛ كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها.

ويمكن إجمال منهج الشـيخ السـعدي في (تيسـير الكريم الرحمـن) في النقاط التالية اختصاراً:

١) يركـز علـى المعنى المقصود من الآيـة، بعبارة واضحة يفهمهـا كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي.

٢) يصوغ المعاني بأسـلوب مناسـب لأهل عصره، سـهل ممتع يُفهم معنى الآيات من مجرد قراءته.

٣) يمتاز بتيسير التفسير؛ دون إطالة، أو استطراد، ودون ذكر قصص، أو إسرائيليات، ودون حكاية أقوال تخرج التفسير عن المقصود.

٤) صاغه على نمط بديعٍ، بعبارات قريبةٍ لا خفاء فيها ولا غموض.

٥) يسهل العبارة، فيجمع بين بيان المعنى المقصود والغوص في أسرار التشريع، بعيداً عن تعقيدات الألفاظ والإسهاب في بيان الأحكام.

٦) اعتمد الشيخ على كتب التفسير الموثوقة اعتماداً كليـاً.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٥٨٢-٥٨٣.

٧) يشرح المعاني إجمالا في الغالب، وربما يترك تفسير آياتٍ لظهور معناها، ويهتم بالتعريف وجزالة الألفاظ.

٨) اهتم بترسيخ العقيدة السلفية، والتوجه إلى الله.

٩) اهتمامه بتفسير آيات الصفات بمقتضى عقيدة السلف، بعباراتٍ سهلةٍ وميسرةٍ للفهم.

١٠) يعتني باستنباط الأحكام الشرعية، والقواعد الأصولية غالباً. وله استنباطات وتوجيهات يستقل بها.

١١) يستوعب ما تضمنته الآية من معنى أو حكم سواء من منطوقها أو مفهومها، مع التنبيه على فقه الآية في شتى علوم الشرع.

١٢) يعرض الحكم الراجح بدليله، وهذا ما يحتاجه كثير من المسلمين.

١٣) يذكر أنواع الإعراب والقراءات إذا توقف عليها بيان المعنى فقط. ولا يذكرها إذا لم يترتب عليها فهم المعنى، أو كانت شاذةً.

١٤) أبدع في عرض قصص الأنبياء واستنباط الفوائد منها، وما يحتاجه المسلم مما يقوي إيمانه ويربطه بخالقه، وهذا المسلك قلَّ من اعتنى به من المفسرين السابقين.

١٥) يعتنى بمعاني أسماء الله الحسنى، ومناسبة التذييل بها، وكان يشير إلى ذلك كثيراً، ويربط الآية بما ختمت به من أسماء الله.

١٦) يحرص على بيان المعنى العام الإجمالي للآيات بأسلوب واضح سهل مأخوذ من الآيات نفسها.

١٧) سجل في تفسيره ما ظهر له من ترجيحات في تطبيق بعض النصوص القرآنية على النوازل.

١٨) يعتنى بأمر الدعوة وأساليبها، ويبيِّن ما ينبغي أن يكون عليه الداعية.

١٩) يذكر بعض الضوابط والقواعد والأصول التي ينبغي أن يعتني بها من يفسر القرآن.

٢٠) اعتنى بمباحث علوم القرآن، وبيَّنها أتم بيان، بأسلوب واضح، بعيداً عن الخلافات الجانبية، فجاءت متممة لتفسيره ومكملة له.

هذه أبرز ملامح التفسير الإجمالي عند الشيخ في تيسير الكريم الرحمن.

ولذا يقول عنه الشيخ أ.د. عبدالله الطيَّار: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان: وهو تفسير عظيم، لا يستغني عنه طالب علم، لأنه سهل العبارة، يجمع بين بيان المعنى المقصود والغوص في أسرار التشريع بعيداً عن تعقيدات الألفاظ والإسهاب في بيان الأحكام» ثم فصّل بعض منهجية الشيخ السعدي في تفسيره مبرزاً مزاياه باختصار[1].

(١) أثر علامة القصيم عبد الرحمن السعدي على الحركة العلمية المعاصرة، تأليف أ.د. عبدالله بن محمد الطيار ص١٣.

المطلب الخامس: من تأثر بهم الشيخ من علماء الإسلام في أسلوب التفسير الإجمالي:

من خلال البحث والتتبع لم أجد من بيَّن صفة تأثر الشيخ -رحمه الله- بدرس التفسير، سوى نتفٍ في وصف درسه للطلاب، وهي لا تعطي إجابةً واضحةً وشافيةً عن طريقة تلقيه هذه المنهجية المحددة في التفسير، والتي صار لها أثرٌ ظاهرٌ في قبول تفسيره في زمنه وإلى اليوم.

ومع الثراء في علومه ومعارفه -رحمه الله-، والتنوع في مشايخه ومصادر تعليمهم، وبروز الشيخ ونبوغه العلمي والذهني، ومعايشته لمجتمعه وأحداث عصره، وانفتاحه على مصادر المعرفة، إلا أني لم أجد من ذكر تأثره بطريقة التدريس سوى نص الشيخ البسام في علماء نجد، وسيأتي ذكره، أما طريقة التأليف فكل من وصف تأليفه أجاد وأثنى؛ ولم يذكروا عمن أخذ تلك الطريقة الإجمالية الموضوعية في تيسير العلوم وتنويع طرحها.

ولا يبعد أن يكون ذلك مما تحصَّل عنده من مجموع الأمرين:

طريقة مشايخه جميعاً؛ فأخذ من كلٍّ منهم ما تميز به.

وما فتح الله عليه باجتهاده وممارسته للتدريس والكتابة.

وسبب هذا القول النظر في الأمور التالية:

أولاً: صرح بالنقل والتأثر بالإمام ابن القيم، ولا يخرج عن اختيارات الإمام ابن تيمية غالباً:

كتب الشيخ في مقدمته فوائد مهمة تتعلق بتفسير القرآن، من بدائع الفوائد لابن القيم -رحمه الله- تعالى، وختم تفسيره بفصل في تفسير أسماء الله الحسنى، وهو شرح طيب واضح ونافع.

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد، والتفسير، ولغته، وغيرها من العلوم النافعة. وبسبب استنارته بكتب الشيخين المذكورين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما تَرَجّح عنده بالدليل الشرعي، ولا يطعن في علماء المذاهب.

وإن لم نجد تصريحاً من الشيخ في استفادته وتأثره المباشر في التفسير من هذين الإمامين، إلاّ أن المتتبع لتفاسيره يجد ذلك واضحاً، بل ربما نقل نص كلام أحدهما في المسألة[1]، وأحياناً بمعناه[2]. وأحياناً يحيل على أحدهما في المسألة[3]. ونجد غالب تأثره فيهما في الاختيار والترجيح والتوجيه، شأن ذلك شأن بقية مؤلفاته.

ومن أبرز كتب السعدي التي تدل على عنايته بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثره به: **(طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول)**:

---

(١) كما في تيسر الكريم الرحمن ص٣١-٣٤ فقد نقل فوائد مهمة تتعلق بتفسير القرآن من بدائع الفوائد لابن القيم -رحمه الله-، وفي ص١١١ نقل نكتة لطيفة عن ابن القيم في مناظرة إبراهيم عليه السلام، وفي ص١٢٧ نقل في الهامش كلاماً لابن تيمية من المنهاج، وص١٣٨ نقل كلاماً لابن القيم عن حج البيت، وفي ص١٦٨ نقل عنه أيضاً من جلاء الأفهام تأملاً في آية المواريث، وفي ص١٩٣ نقل عنه من المدارج، وص٧٩٥ نقل عنه قصة الحديبية.

(٢) أشار في تيسر الكريم الرحمن ص١٧٩ إلى استفادته من تنبيه ابن القيم، وفي ص٢٤٦ أشار إلى اختيار ابن تيمية.

(٣) مثال قوله في فتح الرحيم ص٩٢» وإذا أردت تفصيل هذه الجملة العظيمة فاقرأ كتاب العقل والنقل لشيخ الإسلام والمسلمين ابن تيمية، وكيف برهن بالبراهين العقلية على ضعف عقول القادحين في شيءٍ من هذا الدين».

إذ انتقاه من أكثر من ستين كتاباً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب تلميذه ابن القيم، التي وقعت بين يديه، وقد سهَّل ابن سعدي بهذا الكتاب الاستفادة من كتب الشيخين، فأبرز زبدتها، ووضعها بين يدي القارئ بهذا الجزء المختصر.

وقال آخر هذا الكتاب: «... وقد نافت ولله الحمد على الألف[1]. ما بين أصل، وقاعدة وضابط جامع، وتعريف مهم، وفائدة ضرورية، وترغيب في كمال، وتحذير من نقص، وتوجيه إلى المنافع الظاهرة والباطنة، وترهيب من المضار الدينية والدنيوية، ومَخْبَرُه يعني عن وصفه ...

وجملة ذلك أن هذا المجموع قد انتقيته بعد التروِّي الكثير وكثرة التأمل والتفكير في جميع الكتب الموجودة من كتب الشيخين، فتضمّن صفوتها، واحتوى على جواهرها وغررها، والحمد لله، والفضل لله ...»[2].

ثانيا: تلقى الشيخ تعليمه على عدد من العلماء، من أبرزهم:

١. الشيخ عبدالله بن عايض (١٢٤٩-١٣٢٢هـ) -رحمه الله-، وكان قد طلب العلم في الحجاز ومصر.
٢. الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر (١٢٤١-١٣٣٨هـ) -رحمه الله-، الذي طلب العلم في الشام، ورحل إلى العراق، وأقام بها بضع سنين.
٣. الشيخ صعب بن عبدالله التويجري (١٢٥٣-١٣٣٩هـ) -رحمه الله-، إمام الجامع في البكيرية، قرأ على علماء القصيم والرياض ثم استقر في عنيزة.
٤. الشيخ محمد بن عبدالكريم الشبل. (١٢٥٧-١٣٤٣هـ) -رحمه الله-، وكان قد رحل إلى الحجاز ومصر والعراق والشام لطلب العلم.

---

(١) عددها بالتحديد (١٠١٥) ما بين قاعدة وأصل وضابط.

(٢) طريق الوصول ص٣١٨.

٥. الشيخ صالح بن عثمان القاضي (١٢٨٢-١٣٥١هـ) -رحمه الله-، الذي طلب العلم في مصر والحجاز سبع عشرة سنة.. وقد لازمه ملازمة تامة إلى أن توفي -رحمه الله-.

٦. الشيخ محمد الأمين بن عدي الشنقيطي (١٢٨٩-١٣٥١هـ) -رحمه الله-، الذي طوَّف البلاد الإسلامية، وجاهد الإنكليز في البصرة، وأقام في عنيزة أربع سنين.

٧. الشيخ علي بن ناصر أبو وادي (١٢٧٣-١٣٦١هـ) -رحمه الله-، الذي درس على علماء الدعوة، ثم طلب علم الحديث في الهند، ورجع بإجازات في كتب السنة، وأجاز رهطاً من أهل بلده، منهم الشيخ السعدي.

٨. الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن محمد المانع (١٣٠٠-١٣٨٥هـ) -رحمه الله-، وكان درس بالعراق والشام وغيرها، ثم صار مدير المعارف في المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت - وقد قرأ عليه في عنيزة.

اجتمع في هؤلاء الشيوخ تنوع مصادر التلقي، حيث طلبوا العلم في مختلف البلاد، فهيأ الله له بهذا فوائد الرحلة من غير أن يرحل.

ثالثا: إحدى طريقه في التدريس التي أخذها عن شيخه:

يقول الشيخ البسام: "طريقته في التدريس طريقة فريدة مفيدة، أخذها عن شيخه محمد أمين الشنقيطي.

فكان يقرأ العبارة، ثم يوضح معناها توضيحاً تاماً، ثم يصورها، ويذكر دليلها، وحكمة التشريع منها، فإن كان يراها أقرَّها. وإن كان يرى القول الآخر أصح منها ذكر القول الثاني بنفس الطريقة، ثم أخذ في نصر القول الذي يراه وبيان أدلته، وتوهين القول الذي لا يراه، حتى يقنع الطالب بما يراه.

كل هذا بأسلوب واضح، وترتيب مستقيم، بحيث إن تفهيمه لا ينخفض

عن مستوى الطالب المدرك، ولا يرتفع عن مستوى الطالب المبتدئ، فالكل منه يستفيد، هذه طريقته في درسه.

أما كلامه على النصوص الكريمة سواء في التفسير، أو في الحديث، فأمر عجب، فإنه يستنبط منها من الأحكام والفوائد ما لا يتصوره طالب"[1].

رابعا: مراسلاته لعلماء عصره:

"ومع هذا فقد كاتب علماء الأمصار ومفكري الآفاق في جديد المسائل وعويصات الأمور؛ حتى صار لديه محاولة لتطبيق بعض النصوص الكريمة على بعض مخترعات ومكتشفات هذا العصر وحوادثه، مما يظهر أسرار الشريعة واتصالها بما يجد في العصر الحديث، وهذه بعض همته وعزيمته في اكتساب العلوم وتحصيلها"[2].

خامسا: متابعته للمجلات العلمية في زمنه:

« كان حريصاً على قراءة مجلة المنار، التي يصدرها الشيخ (محمد رشيد رضا) (١٢٨٢-١٣٥٤هـ) -رحمه الله-، في القاهرة، ويراسل صاحبها..

ومجلة (الفتح) التي يصدرها الشيخ (محب الدين الخطيب) (١٣٠٣-١٣٨٩هـ) -رحمه الله-، في القاهرة»[3].

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون: ٣/ ٢٢٣- ٢٢٤.

(٢)() علماء نجد خلال ثمانية قرون: ٣/ ٢٢٠- ٢٢١.

(٣) الشيخ عبدالرحمن السعدي وأثره في المجتمع مواقف تستحق التأمل، د. فريد بن عبدالعزيز الزامل السليم- عنيزة، مقال منشور بجريدة الجزيرة - السعودية، العدد ٤٧٦و ٤٧٧، http://www.al-jazirah.com/culture

المطلب السادس

أثر المنهجية العلمية الإجمالية في كتابات الشيخ الأخرى

لقد برز المنهج الإجمالي في كتابات الشيخ كلها، ولعل إلماحة سريعة في مصنفاته حسب أنواع العلوم تعطينا برهان ذلك، ونوجزها في المسائل التالية[1]:

المسألة الأولى: منهجه الإجمالي في مؤلفات العقيدة[2]:

فنجد الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- يسلك مسلك الإجمال والإيجاز في مؤلفاته في أبواب ومسائل العقيدة، حيث يوجز الموضوع الواحد في مكان واحد، ويحاول عرضها بأسلوب إجمالي ميسّر على القارئ، لكنه قد جمع لُبَّ المسألة، وبرع في اختصارها، وجمع أطرافها من خلال الأدلة، بل أشهر وأظهر أدلتها-متجنباً المقارنة ظاهراً-وإن كان في صياغته ما يفيد الرد على المخالف، أو ذكر الخلاف.

وهو في عبارته واختياره للألفاظ ينبئ عن الخلاف، وعن درجته قوة وضعفاً، مع أدبٍ جمٍ في التعبير عن الخلاف والمخالف. ويحرص على أسلوب القوة في الاستدلال، وربط المسألة بأدلتها، من غير مجاملة أو مداهنة، أو تنازل عن أسس

(١) للمزيد يمكن مراجعة بحث: منهجية الشيخ ابن سعدي في التفسير الموضوعي- مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - واقع وآفاق جامعة الشارقة ١١-١٢ جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافق ٢٥-٢٦/ ٤/ ٢٠١٠ وهذا المطلب يشبه البحث هناك.

(٢) ومن أشهرها باختصار حسب حروف المعجم: الأدلة والقواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، انتصار الحق، توضيح الكافية الشافية، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، القول السديد في مقاصد التوحيد. وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى عند السعدي، د.عبيد العبيد، ١٥٤-١٥٦.

العقيدة ومبادئها، أو معالمها، أو منهجية السلف.

المسألة الثانية: منهجه الإجمالي في مؤلفات الفقه وأصوله[1]:

وسلك مسلك الإجمال والإيجاز في علوم الفقه وأصوله، وكان لذلك تأثيرا بالغاً، إذ أخرج طلاب العلم في عصره عن المألوف، إلى تأليف الجديد فيها على طريقة ذات صبغة إجمالية موجزة، وقد أفادت تلك الكتب والرسائل منذ تأليفها حتى يومنا هذا طلاب العلم. وندر أن لا تجد أحد تلك المؤلفات يُشرح في دورة علمية، أو برنامج علمي، أو معهد شرعي. وذلك لإيجازها غير المخل، وإجمالها في الفنّ مع قوة أدلتها، وربطها بالكتاب والسنة، حتى لكأنك ببعض الأسطر كاملة هي عبارات النصوص الشرعية-إنّما نظمها ببعضها-أو قواعد وأصول جعلها كأنها شرح للمسألة، وقد تضمنت تلك العبارة أو الأسطر ما لو شرح في مجلد لما كفاه.

ولقد تفنّن -رحمه الله- في ذلك، فمع تأليفه لمنهج السالكين في الفقه؛ لم يثنه ذلك أن يؤلف ما هو أصغر منه بكثير، ويجمع فيه أبواب الفقه كلها مع الأخلاق والآداب، ولا يتجاوز الكتاب مائة وخمسين صفحة[2].

وهكذا الشأن في أصول الفقه وقواعده، فمع نظمه لها؛ ألف رسالة مستقلة في القواعد الفقهية، وسهّلها على الناس، حتى يشعر الطالب وكأن تلك القواعد أمر

(١) ومن أشهرها باختصار حسب حروف المعجم: الإرشاد إلى معرفة الأحكام، الجمع بين الإنصاف ونظم ابن عبدالقوي، حكم شرب الدخان، رسالة في القواعد الفقهية، رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة، الفتاوى السعدية، القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، المختارات الجلية من المسائل الفقهية، منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، المناظرات الفقهية، منظومة في أحكام الفقه. وانظر: المصدر السابق، ١٥٤-١٥٦.

(٢) كما في: نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات والحقوق والآداب. ألفه قبل وفاته بعامين، ط ١٤٢٠هـ.

سهل المرتقى، فإذا بالشيخ يرتقي به ليصل العُلا.

المسألة الثالثة: منهجه الإجمالي في شرح الأحاديث:

لم أقف له إلا على كتاب واحد خاص في خدمة السنة، لكن كتبه الأخرى وتفاسيره مليئة بالإشارة إلى الأحاديث والكلام عن فوائدها ومراميها، أما كتابه الخاص بالسنة؛ فهو: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار. وقد طبع في حياته الطبعة الأولى، في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، سنة ١٣٧٢ هـ.

ومن تأمل هذا الكتاب على اختصاره ووضوحه رآه مشتملاً على جميع العلوم النافعة؛ على علم التوحيد، والأصول، والعقائد، وعلم السير والسلوك إلى الله، وعلم الأخلاق والآداب الدينية والدنيوية والطبية، وعلم الفقه والأحكام في كل أبواب الفقه من عبادات ومعاملات وأنكحة وغيرها، وكلها مأخوذة ومستقاة من كلماته صلوات وسلامه عليه، حيث اختار فيه شرح تسعة وتسعين حديثاً من جوامع كلام النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ومن خلاله تظهر منهجية الإجمال التي اتبعها الشيخ في جمع المسائل وربطها مع العمق والإيجاز، ومناسبته لأهل عصره ومن بعدهم، وكيف يسر فيه الشيخ المعاني التي احتوتها الموسوعات التي تناولت تلك الأحاديث بالشرح والبيان والتفصيل، حتى صار شرحه مفتاحاً لها، وبوابة يلج منها طالب العلم إلى بوابة السنة النبوية. فسبحان من هداه وعلمه.

المسألة الرابعة: منهجه الإجمالي في مؤلفاته العامة[1]:

إنَّ مؤلفات الشيخ الكثيرة اعتنت بالدعوة إلى الله، وذكرت أفضل السبل في ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. وإذا كان للسعدي -رحمه الله- ميزة على أقرانه ومعاصريه في قضايا الدعوة إلى الله؛ فهي أنه فهم النصوص الشرعية وفهم الواقع الذي يعيشه، فجمع بين فقه النص وفقه الواقع، وهذا ما جعل قدمه راسخة في هذا المجال.

وقد أبدع الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- في عرض قضايا الدعوة بإجمالٍ سهلٍ ممتعٍ، فتعرَّض لإصلاح مناهج التعليم، وتعرَّض لتصحيح بعض المفاهيم، وتعرَّض للردِّ للرد على الملحدين ودعواهم حول الحرية من تعاليم الإسلام، وأكد على أهمِّية أن يتولى المناصب القيادية في أي مصلحة خاصة أو عامة أهل الخير والصلاح والإصلاح من الدعاة والمعلِّمين والموجهين، وشنع على أولئك النفعيِّين الذين يهتمُّون بمصالحهم الذاتية وينسون أو يتناسون قضايا الأمة ومصالحها العليا. لقد كان ابن سعدي موفقاً في معالجته لقضايا الدعوة، وذلك أنه داعية من الرعيل الأول، إذ نزل الميدان، وجرَّب، ومارس، وتعامل مع الناس، فأخذ يكتب عن تجارب واقعية صادقة.

---

(١) ومن أشهرها باختصار حسب حروف المعجم: التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب، تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، الجهاد في سبيل الله، أو واجب المسلمين وما فرضه الله عليهم في كتابه نحو دينهم وهيئتهم الاجتماعية، الدرة المختصرة في محاسن دين الإسلام، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل، الخطب المنبرية على المناسبات، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة، مجموع الخطب في المواضيع النافعة، مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة. وانظر تفسير أسماء الله الحسنى عند السعدي، د.عبيد العبيد، ١٥٤-١٥٦.

ومع ذلك فتميزت مؤلفاته عامة باتباع الأسلوب الإجمالي والموضوعي، الذي يقوم على الاختصار، وحسن التوصيف، مع قوة الاحتجاج، ومتانة الاستدلال، بعيداً عن أسلوب الاستطراد، أو التفصيل الذي قد لا يناسب كل المخاطبين، أو الإغراق في المناقشات.

وظهرت نتائج تلك المنهجية الإجمالية التي سلكها في التفسير وغيره، وأبرزها:

١) أشبع ما تطرق له:

«أشبع الموضوعات التي تطرق لها، واستطاع أن يصل على قلب وعقل قارئه بأيسر السبل وأسهل الطرق. وقد كانت الكتابة سهلة عليه، حيث كان في المجلس الواحد يملي رسالة مستقلة. كما وردت إليه الأسئلة العديدة، فأجاب عليها بالأجوبة السديدة، وكان حاضر الجواب، سريع الكتابة، بديع التحرر، سديد البحث. وقد بارك الله في أوقاته، فألَّف وخطب ونصح وساهم في حلِّ مشاكل الناس، وكان لا ينقطع عن زيارتهم في بيوتهم، ومشاركتهم في مجتمعاتهم، فأعطى كل ذي حق حقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[(١)].

٢) حماسه في نشر العلم:

وكان غاية قصده من التصنيف هو نشر العلم والدعوة إلى الحق، ولهذا يؤلف ويكتب ويطبع ما يقدر عليه من مؤلفاته، لا ينال منها عرضاً زائلاً، أو يستفيد منها عرض الدنيا، بل يوزعها مجاناً ليعم النفع بها، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، ووفقنا الله إلى ما فيه رضاه.

٣) توقفه عن الاعتماد على الإسرائيليات:

وقال الشيخ السعدي -رحمه الله-: «واعلم أن كثيرا من المفسرين رحمهم

---

(١) علماء نجد (٢/ ٤٢٤).

الله، قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله -صلى الله عليه وسلم-: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»!.

والذي أرى أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعا إذا لم تصح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وذلك أن مرتبتها كما قال -صلى الله عليه وسلم-: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق»[1].

وقال: «واعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح وأنها تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون وأن لها فصيلا حين عقروها رغى ثلاث رغيات وانفلق له الجبل ودخل فيه وأن صالحا عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني: محمرة، والثالث: مسودة، فكان كما قال.

وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها من العجائب والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٥٥-٥٦.

يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكورات، فإن صالحا قال لهم: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾[هود: ٦٥]، أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يوما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم احمرار وجوههم، واصفرارها واسوادها من العذاب.

هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟ . فالقرآن فيه الكفاية والهداية عن ما سواه.

نعم لو صح شيء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مما لا يناقض كتاب الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧] وقد تقدم أنه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما»[(١)].

٤) توقفه عن الأخبار التي لا مستند لها:

قال: «فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ وما جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله وهو من الأمور التي يقف الجزم بها، على الدليل المعلوم عن المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفاسير. والله أعلم»[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٦٠٥.

الخاتمة

يعدُّ تفسير السعدي من التفسير الإجمالي: وهو أن يعمد المفسر إلى بيان المعنى العام للآية دون التعرض للتفاصيل؛ كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها ولذلك جاء الكتاب مختصراً، وللشيخ استنباطات وتوجيهات يستقل بها كغيره من أهل العلم، ومن أسلوب السعدي في هذا التفسير أنه يشرح المعاني إجمالا في الغالب، وربما يترك آيات لظهور معناها، فهو يمتاز بتيسير التفسير وسهولة العبارة والفهم، ويهتم بالتعريف وجزالة الألفاظ، ويناقش المسائل الفقهية بلا إطناب والتنبيه على فقه الآية في شتى علوم الشرع.

النتائج، وتتضمن ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: برزت أهمية التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ ورؤيته، في النقاط التالية:

- التفسير الإجمالي يتعامل مع الأهداف والمفاهيم القرآنية الكلية.
- أن الجديد في التفسير الإجمالي عرض المعاني والهدايات بأسلوب التعبير عن التفسير، من حيث سهولة عبارته وسلاستها.
- يركز الكلام حول مدلول الآية للاهتداء بها والسير على منهاجها، دون الغوص في المجالات التحليلية.

المسألة الثانية: ضوابط التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ:

أولاً: حسن صياغة التعبير عن التفسير بعبارات فصيحة وسهلة الفهم في عصر كتابتها، مع قوة دلالتها وتأثيرها في القارئ والسامع لها.

ثانياً: يفسر كل مقطع تفسيراً إجمالياً، ويراعى فيه الأسلوب الأمثل في تفسير القرآن وهو:

أ - تفسير القرآن بالقرآن والإشارة إلى الآيات التي لها علاقة مباشرة بالمقطع سواءً بذكرها، أو ربط المعنى بها.

ب- تفسير المقطع بالأحاديث النبوية الشريفة التي تلقي ضوءاً على المعنى، سواءً بذكرها، أو ربط المعنى بها.

ج- في المعاني يلتزم قول السلف، وغالب معانيه من نصوص أئمة التفسير، على سبيل المثال: الطبري، والقصاب، والبغوي، وابن كثير، أو: قول أئمة المذاهب الأربعة، وابن تيمية وابن القيم.

د- يجتنب الخوض في القضايا اللغوية والبلاغية والقراءات والأحكام، وإن كانت تظهر آثارها واعتبارها في المعاني التي يوردها للآية؛ كالقراءات المتواترة ووجه الإعراب والتصريف؛ التي لها تأثير في بيان معنى الآيات.

هـ - عند تكرار الموضوعات في بعض مقاطع السور كالقصص وغيرها يفسر كل مقطعٍ في موضعه بما يتناسب مع محور السورة التي ذُكر فيها، وهدف السورة العام، ومراعاة الإيجاز أو الإطناب فيها.

ثالثًا: في قضايا ومسائل الأحكام:

١. في القضايا العقدية يلتزم رأي السلف، وإن كان هناك إجماع على التأويل يورد ذلك.

٢. في القضايا الفقهية: يكتفي بالرأي الراجح الذي يراه من أقوال الأئمة الأربعة والمجتهدين، وقد يشير لأدلة ترجيح هذا القول دون توسع.

رابعًا: وفي مجال النتائج والنوازل:

أ- يربط بين هدايات الآيات وواقع الأمة.

ب-يرد على الشبهات التي تثار حول القرآن الكريم والإسلام.

ج-يبرز عظمة الشريعة الإسلامية، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، كل ذلك عند ورود مناسباتها في تفسير الآيات المتعلقة بذلك.

د- يقتصر على الحقائق العلمية عند تفسير الآيات الكونية والطبية، ويتجنب النظريات العلمية.

المسألة الثالثة: أساليب التفسير الإجمالي من خلال منهجية الشيخ وغيره:

ظهر لي بالبحث والتتبع أن أسلوب الشيخ في التفسير الإجمالي متفقٌ عموماً في ثنايا (تيسير الكريم الرحمن).

ولكن ثمة أساليب أخرى للتفسير الإجمالي تختلف بحسب منهجية من كتبوا في هذا الأسلوب من التفسير:

فمنهجية التفسير الميسر (مجمع الملك فهد) اقتصرت على أقل ما يمكن من بيان المعنى، ولذا صار التفسير كالمتن الذي يحتاج لبسطٍ وتوسعٍ أكثر للناس، وسبب ذلك أنهم كتبوه مراعاة للترجمة إلى اللغات الأخرى.

ومنهجية المفسرين الذين حوى تفسيرهم - تفسيراً إجمالياً- كالجزائري -رحمه الله-: اعتمدت على بيان دلالة الآية أو الآيات على المعنى العام، اكتفاءً بما ذكروه تحت الغريب والفوائد، فاقتصروا في الإجمالي على المعنى العام دون الربط بما اختصت به ألفاظ الآية وأفادته من معاني في ذهن القارئ والسامع.

وبين هذا وذاك أثَّرت العلوم في بعض تلك التفاسير، إما ميلاً إلى اللغة والبلاغة، أو إلى الجانب الاجتماعي ومعالجة الواقع، أو غير ذلك.

التوصيات:

١ - (تيسير الكريم الرحمن) من أفضل كتب التفسير الإجمالي؛ ومن أجل هذا أشير على كل مسلم يرغب النظر في معاني كلام الله أن لا يخلو بيته من هذا

التفسير القيِّم[1].

٢- (تيسير الكريم الرحمن) من التفاسير المختصرة ولذا ينصح بقراءته للمبتدئين والعامة، لسهولة عبارته وإيجازه، مع وفائه وشموله لدلالة الآيات، وما ضمَّنه مؤلفه من معانٍ وهدايات.

٣- استقراء بقية كتب التفسير الإجمالي للخروج بمنهجية علميّة، محددة المعالم والخطوات؛ لمن يرغب في الكتابة في هذا النوع من التفسير، ولضبط وتقويم الكتابات المعاصرة في ذلك.

٤- دراسة أثر منهجية التفسير الإجمالي التي سلكها الشيخ السعدي عند ترجمته إلى اللغات الأخرى.

(١) كما نص على ذلك تلميذه الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمهم الله في تقديمه لطبعة الكتاب.

فهرس المصادر

١- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ٥/ ٨/ ١٤٠٦، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٢- أثر علامة القصيم عبد الرحمن السعدي على الحركة العلمية المعاصرة، تأليف أ.د. عبدالله بن محمد الطيار.

٣- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١٤٢٠ هـ.

٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٥- تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي، المحقق: عبيد بن علي العبيد، مجلة الجامعة الاسلامية ع١١٢ ص١٥٣-١٥٤.

٦- التفسير الموضوعي، للدكتور أحمد الكومي، مذكرة مقررة على طلاب كلية أصول الدين.

٧- التفسير الموضوعي، د. محمد بن عبدالعزيز الخضيري، مجلة البيان ع ٦٤ ص٧.

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د.عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٩- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، محقق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.

١١- الشيخ عبدالرحمن السعدي وأثره في المجتمع مواقف تستحق التأمل، د. فريد بن عبدالعزيز الزامل السليم- عنيزة، مقال منشور بجريدة الجزيرة-السعودية، العدد ٤٧٦ و ٤٧٧، http: //www.al-jazirah.com /culture

١٢- الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي مُفَسِراً، د. عبدالله بن سابح بن صالح الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

١٣- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح آل بسام، دار العاصمة سنة النشر: ١٤١٩.

١٤- فتح الرحيم الملك العلام، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط٣، ١٤٢٤هـ.

١٥- فصول في أصول التفسير، أ. د مساعد بن سليمان الطيار، دار النشر الدولي، الرياض، ط١، ١٤١٣.

١٦- لسان العرب، محمد مكرم منظور، دار الصادر، بيروت، ط١.

١٧- مشكلة المصطلحات في الدراسات القرآنية .. التفسير الموضوعي وإخوانه أنموذجًا، (مقالٌ علمي) أ.د. مساعد الطيار Jun٠٤ ٢٠٠٦- ملتقى أهل التفسير.

١٨- منهجية الشيخ ابن سعدي في التفسير الموضوعي- مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، واقع وآفاق جامعة الشارقة ١١-١٢ جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافق ٢٥-٢٦/ ٤/ ٢٠١٠

١٩- الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر عام النشر: ١٤٢٣هـ.

٢٠- نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات والحقوق والآداب. ألفه قبل وفاته بعامين، ط١٤٢٠هـ.